

- التعلم والتعليم -

قال أفلاطون بأن النفس جوهر روحاني خالد تقبل العلم كما تقبل الجهل. وهي تنهل العلم بواسطة العقل المكتسب تلك الطاقة الواعية، المتحركة باستمرار حول نواتها العقل الفطري، الذي نقشت على مرآة جوهره كل الحقائق البديهية، التي بواسطتها نفس الأشياء وهي غير قابلة للتفسير.

وقال سقراط: من لم يصبر على تعلم العلم وتعبه صبر على شقاء الجهل وجموده. وعل ذلك بأن اكتساب العلم سموّ وارتفاع، وتعريج من منزلة في الإنسانية إلى منزلة أعلى. وهذا يتطلب جهدا واعيا صبوراً، ومعرفة دقيقة بالهدف، والسعي إليه من طريقه لا من طريق آخر. أما الجهل فهو انتكاس وارتكاس، إنه هبوط وانسفال، وراحة وإباحة، ولهذا نفر أكثر الناس من طلب العلم المقرون دائماً وأبداً بالتوازن والعدالة والعفة والترفع عن الشهوات وهنا علينا أن نميّز بين العلم، الذي هو في حقيقته علم بقوانين الطبيعة ومنطق العقل، والفضائل البرهانية، والحقائق الكلية المجردة، ومعرفة بقواعد الإستقراء القياس والإستنتاج، وبين التعلم بمعنى تخزين المعلومات الجزئية للحصول على شهادة جامعية، تخول صاحبها الحصول على وظيفة يعتاش منها لا أكثر ولا أقل.

قال أرسطو: كل لذة إذا بولغ في اشباعها إنقلبت إلى ضدها وانبتق شرّها من خيرها إلا لذة المعرفة كلما ازداد صاحبها منها ازداد شوقها لها ولهفة عليها واكتملت سعادته بها.

وقال الأصمعي: تعلموا الأدب وإن لم ينالكم حظ في الدنيا، فلأن يذم فيكم الزمان أحسن من أن يذم بكم.

وإن ننسى لا ننسى قول النبي الكريم: طلب العلم فريضة على كل مسلم. وقال الله تعالى في كتابه العزيز: قل ربي زدني علماً. وهو أكبر تضرع تضرعه الإنسان لربه. فلم يطلب منه ذهباً وفضة ولا جاهاً وبنين، بل علماً بالماهيات ومعرفة بالفضائل البرهانية، والحقائق البديهية الأزلية، المتجسدة في منطق العقل وقوانين الطبيعة.

وكمال العلم أن لا يكون رغبة في التعلم فقط، بل حرصا على التعليم أيضا. فأى قيمة لنور لا تبصره الأعين، ولحلاوة لا تتذوقها الألسن، أو لثياب لا تستر عورة، أو لشراب لا يروي من ظمأ.

قال النبي الكريم: من علم علما فكتمه أجمه الله يوم القيامة لجاما من نار. وقال الإمام الحسن بن علي: زكاة العلم تعليمه. ولكن القول الفصل ما ورد في الكتاب العزيز، قال تعالى: وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه. وهذا يدل أن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هو حضّ الناس على المعرفة، التي تتجسد عملا صالحا على أرض الواقع الإجتماعي، يساهم في تطوير الجماعات وارتقائها. والنهي عن المنكر هو تحذير من الجهل الذي ينتزع من الإنسان هويته الإنسانية، ليعيده إلى صلصال ترابه التافه، الذي يجعله مذبذبا لا هو بالإنسان السوي ولا هو بالحيوان الأعجم.

قال النبي الكريم: الناس عالم ومتعلم وما سواهما همج. وقال الإسكندر المقدوني: إني أعظم معلمي أكثر من أبي، لأن أبي سبب حياتي الفانية، ومعلمي سبب حياتي الباقية.

ولقد اتفق جميع الحكماء والأنبياء، أن رأس المعرفة هي الإقرار بوجود الله تعالى ثم تنزيهه عن صفات المخلوقين. فهو لا تحيط به العقول والأفهام، ولا السنين والأعوام، وليس كمثلته شيء.

قال الإمام علي بن أبي طالب: ما يتصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره بين الناس. وقال النبي الكريم: وقرؤا من تتعلمون منه ووقروا من تعلمونه، ففضل من يأخذ كفضل من يعطي.

واتفق الحكماء والأنبياء أيضا، أن الإنسان كائن إجتماعي بالفطرة. وأن ثقافات المجتمعات المختلفة وعلومها ودياناتها، تتفاعل مع بعضها إيجابيا لما فيه خير البشرية جمعاء. ولهذا كان شعار الإسلام السلام عليكم. لأن التفاعل الإيجابي لا يكون إلا بالمسالمة والانفتاح والحوار، واعتبار قوانين العقل شاملة لجميع البشر، ولا يختص بها شعب دون شعب، فنحن العرب أخذنا من حكمة اليونان وعلومهم،

كما أخذنا من حكمة الفرس وآدابهم، كما أخذنا من قوانين الرومان وشرائعهم. وكما
نأخذ اليوم من علوم الغرب والشرق وتقنياتهم وتجاربهم الناجحة في بناء المجتمعات
التي تحترم قوانين العقل ونواميس الطبيعة، نحن كما قال غاندي: نفتح نوافذ
بيوتنا لتهب عليها رياح الحضارات من كل الإتجاهات. ولكننا لا نسمح لأي ريح أن
تقتلعنا من جذورنا.

كمال يوسف سري الدين

